أطفال في زمن الحرب في تقرير للأمم المتحدة

400 مليون طفل يعيشون في المناطق الملتهبة في العالم

> حماية الأطفال في زمن الحروب مسؤولية الجميع

الأطفال هم البراءة، هم الحياة، ابتسامتهم وملامحهم البريئة وشغبهم ولعبهم وأحاسيسهم ومشاعرهم التي لم تلامس بعد قسوة الحياة وصعوبتها، وهم في الوقت نفسه مستقبل الشعوب والأمم، ورمز الاستمرارية وتعاقب الأجيال. إلا أنهم في زمن الأزمات والحروب والصراعات المسلحة يعدون الحلقة الأضعف والأكثر تضرراً باعتبارهم الأكثر هشاشة. لذلك يعد موضوع الطفولة في زمن الحرب من الموضوعات المهمة والحساسة والآنية في زمن كثرت فيه الحروب والنزاعات المسلحة، وهي قضية يجب أن تحظى باهتمام الدول والحكومات والمنظمات الدولية الحكومية وغير الحكومية، وحتى الأفراد سواء كانوا مفكرين أو أُناسًا عاديين، بتسليط الضوء على الانتهاكات الممارسة في حق الطفولة في زمن الحرب والبحث عن آليات الحماية.

د. أحمد سوالم
باحث وكاتب - المغرب

اهتمام وحماية دولية

يتمتع أطفال العالم باهتمام كبير من طرف الدول والحكومات والمنظمات بشتى أنواعها، وحماية عامة بصفتهم المدنية وحماية خاصة بصفتهم أطفالاً، وهاته الحماية مكرسة في القوانين والمواثيق الدولية خصوصاً الأطفال دون الخامسة من عمرهم، عبر ترسانة قانونية متنوعة تروم وجوب احترام حقوقهم؛ خصوصاً في زمن الحروب والنزاعات المسلحة، والتي ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية ولا يسمح المجال لسردها، ولكن سنقف عند بعضها، مثل:

- اتفاقيات جنيف الأربع سنة 1949، بروتوكولها الإضافي لسنة 1977.
- اتفاقية حقوق الطفل سنة 1989، وبروتوكولها الاختياري بشأن إشراك الأطفال في النزاعات المسلحة سنة 2000.

إلا أن الحماية القانونية التي توفرها الاتفاقيات والمواثيق الدولية، وكذلك قوانين الدول، لم تمنع من حدوث خروقات وممارسات، تستهدف أطفال العالم ونموهم النفسي والاجتماعي وحقوقهم؛ لأن الحروب تأكل الأخضر واليابس، ولا تميز بين المسن واليافع والطفل؛ فالأرقام التي تنشرها المنظمات الدولية الحكومية وغير الحكومية، حول واقع الطفولة في زمن الحرب في مختلف بؤر التوتر في العالم مفزعة ومقلقة.. تشير «جراسيا ماشيل» - ناشطة ومدافعة عن حقوق الأطفال في دراسة قدمتها للأمم المتحدة بعنوان «تأثير الحرب في الأطفال» إلى أن أكثر من مليوني طفل قُتلوا في النزاعات المسلحة خلال العقدين الأخيرين من القرن العشرين، وأن ثلاثة أضعاف أصيبوا بجروح خطيرة أو بإعاقة دائمة، وآخرين أجبروا على مشاهدة أعمال مرعبة أمامهم.

> من أساليب الحرب تعريض الطفل للعنف والاستغلال الجنسي.

وحسب منظمة الأمم المتحدة، يعيش أكثر من 400 مليون طفل في مناطق النزاعات المسلحة المتفرقة عبر العالم، وتم تهجير أكثر من 36.5 مليون طفل من ديارهم، وتعرض 8 ملايين طفل دون الخامسة في 15 بلداً لخطر الموت بسبب الهزال الشديد، ونصف أطفال العالم يتعرضون للخطر بخاصة الفتيات منهم. وحسب منظمة يونيسف، فإنه ما بين عامي

> تتفاقم ظاهرة الاتجار بالبشر في زمن الحرب والفتيات يكنّ «الأكثر طلباً»

2005 و2022 تحققت الأمم المتحدة من وقوع 315,000 انتهاك جسيم ضد الأطفال في مناطق نزاع متفرقة من العالم.

ولم تسلم الطفولة العربية من ويلات الحرب وتبعاتها في مختلف بؤر التوتر العربي، فمثلاً في اليمن، وحسب ما أعلنته الأمم المتحدة في سنة 2017، كان 1200 طفل مجند في الحرب و11 مليون طفل يعانون أزمة أمن غذائي. وفي فلسطين المحتلة، حسب الجهاز المركزي الفلسطيني للإحصاء، قُتل أكثر من 14 ألف و350 طفلاً؛ أي ما يمثل 44% من شهداء وقتلى قطاع غزة المحاصر.

الأرقام مقلقة ومفزعة، والمحصلة واحدة؛ وهي أن أطفال العالم في زمن الحروب يعانون شتى أنواع الممارسات التي تمس إنسانية الإنسان، والتي يمكن تلخيص بعضها فيما يأتي:

- الصدمات النفسية لدى الأطفال في الحروب، من خوف وهلع بسبب رؤية الموت ورائحته والأهل والأحبة يموتون أمامهم، وانعكاس ذلك على مشاعرهم وسلوكهم ونفسيتهم بسبب أعمارهم الصغيرة.
- التعرض للعنف والاستغلال الجنسي، بوصفه أسلوباً من أساليب الحرب.
- الضغط الكبير على المدنيين خصوصاً الأطفال في النزاعات المسلحة (الموت واليتم والجروح والانفصال والنزوح والتشوهات وسوء والمعاملة والزواج القسري والاختطاف...)، وآثار هاته الممارسات النفسية البعيدة المدى على الأطفال.
- النزوح واللجوء والحرمان من حماية الأسرة والوالدين؛ ما يسمح بتنامي ظاهرة الاتجار بالبشر، وبالأطفال -خصوصاً الفتيات- وهم الأكثر عرضة لذلك.
- تجنيد الأطفال في الحروب والمجموعات المسلحة واستخدامهم دروعاً بشرية؛ ما يعرضهم للقتل والتشويه.
- الاعتداء على المدارس، وما يصاحب ذلك من حرمان الأطفال من مقاعد الدراسة وتوقفهم وحرمانهم من التعليم، وتجنيدهم في الحروب؛ فالحرب عدوة العلم والمعرفة. كما يؤدي الاعتداء على المستشفيات إلى حرمان الأطفال من الرعاية الصحية، وبالتالي تفشي الأمراض بينهم وارتفاع الوفيات.
- انقطاع التموين والسلع والخدمات وتأثير ذلك في تلبية الاحتياجات المادية الأساسية للأطفال، خصوصاً دون الخامسة من أعمارهم؛ ما يؤدي إلى نقص في الطعام وسوء التغذية، ويُحرم الطفل من الطاقة الكافية للعب والتعلم.
- هاته بعض معاناة الأطفال زمن الحرب، والتي تؤثر في نموهم بشكل عام وفي تفاعلهم الاجتماعي. فما الحلول لتجاوز هاته الوضعية؟

• مقاربات وحلول

إن مسؤولية حماية الأطفال زمن

الحروب لا تقتصر على المنظمات الدولية والدول والحكومات، بل هي مسؤولية يقتسمها الجميع، وحلولها يجب أن يسهم فيها الجميع أفراداً وجماعات، ومن هاته الحلول نقترح ما يأتي:

- تعزيز آليات الحماية والرقابة القانونية، سواء الدولية أم الوطنية، وضرورة تجاوز الفجوة بين الآليات القانونية والوفاء بها على أرض الواقع.
- التأهيل النفسي لأطفال العالم الذين ترعرعوا في بؤر التوتر والحروب؛ حتى يتجاوزوا صدمات الحرب، وذلك باعتماد طرق تربوية، كالعلاج باللعب والتعبير الكتابي وبالقصص والموسيقى والرقص والتقنيات الإبداعية، وبالرسم الذي يعدُّ أداة للتعبير عن الذات؛ فعن طريقه يمكن معرفة الخلل الحاصل في النمو الانفعالي لدى الطفل بتتبع رسومه لفترة زمنية معينة، حتى يتم التحقق مما إذا كان تجاوز صدمات الحرب أو ما يزال يعاني منها.
- تعزيز دور الإعلام، عن طريق اهتمام المنابر الإعلامية - بمختلف أنواعها المكتوبة والمسموعة والمرئية - بقضايا الطفولة، خصوصاً في مناطق الصراعات المسلحة والحروب، عبر الأخبار والتوعية والرقابة وحشد الرأي العام ضد الممارسات التي يعاني منها الأطفال في بؤر التوتر في العالم، لأن للإعلام رسالة سامية هادفة لا تنحصر في الأخبار، بل في الرقابة وحماية حقوق الأفراد والجماعات.
- تعزيز دور المنظمات الدولية الحكومية وغير الحكومية، في تحفيز الدول والحكومات إلى احترام حقوق الأطفال؛ خصوصاً في زمن الأزمات والحروب، ومحاكمة المخالفين والمنتهكين لهاته الحقوق.

> قصف المدارس والمستشفيات يحرم الأطفال من التعليم وينشر بينهم الأوبئة والإصابة بالعاهات الجسدية والموت

في النهاية؛ فإن الأطفال هم أكثر المتضررين من الحروب والنزاعات المسلحة؛ ما يؤثر في نموهم النفسي والانفعالي والجسمي وفي تفاعلهم الاجتماعي، ويفرض ضرورة الاهتمام بهاته الفئة زمن الأزمات لصغر سنها ولهشاشتها، عبر تعزيز الترسانة القانونية وآليات الحماية والرقابة، وعبر الوعي الجمعي والفردي بضرورة حماية حقوق الأفراد لأنهم بوابتنا نحو المستقبل.